



# خطايا الضال الأكبر

(لوقا ١٥)

للقس اغسطينوس حنا

حدثنا الرب يسوع المسيح في هذا المثل الرابع عن أب كان له أبنان وكان لكل منهما خطاياہ وضلاله... الأبن الأصغر يمثل اصلاً الأمم والأبن الأكبر يمثل اليهود. بدأت القصة بهجر وابتعاد الأبن الأصغر ووجود الأبن الأكبر مع أبيه في البيت والعمل، وانتهت القصة نهاية غير متوقعة بتوبة ورجوع الأبن الأصغر إلى أحضان أبيه وتمتعه بكل امتيازات النبوية من جديد (أي دخول الأمم في الإيمان بالمسيح) وغضب وتَمرد الأبن الأكبر على أبيه بسبب قبوله لأخيه التائب. ويسدل الستار وقد انعكس الوضع بعودة التائب الأصغر، وضياع الأبن الأكبر الموجود (اليهود)!

## ضلال الابن الاكبر من نوع اخطر :

بالرغم من أن المثل يشير الي اليهود والأمم، الا انه في نفس الوقت يصف جميع انواع الضلال لدي البشر، ويبين غني الأب السماوي في المحبة والرحمة والاشتياق لخلاص ولديه معاً - ويمثلان العالم كله - إذ أن فرحه بعودة الابن الأصغر لم يكمل لضياع الابن الأكبر.

وقد درج غالبية الوعاظ علي التركيز علي خطايا الابن الأصغر وخطوات توبته وبركات التوبة... الخ مما غرس في فهم الناس انه الابن الضال وحده، مع ان الابن الاكبر كان ضالاً هو الآخر وكان ضلاله اكبر واخطر سواء علي المستوي الشعبي فشعب اسرائيل لم يكن له عذر اذ كان له جميع الامتيازات ولهم التبني والموعد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الأنبياء والآباء ومنهم المسيح حسب الجسد (رو ٩: ٢-٥).

وعلي المستوي الفردي لم يكن للابن الاكبر عذر في تمرده وعناده وسقوطه في كل هذه الخطايا في الوقت الذي يقول لابييه بأنه خدمه سنين كثيرة ولم يتجاوز وصيته قط! ولكن كان التسوس ينخر في الداخل حتي حصل الانهيار الكامل.

أما لماذا خطايا الابن الاكبر كانت من نوع اخطر فذلك لأن:

١- خطايا الابن الاصغر تُمثل خطايا الشباب من طيش وهوي وجموح وتهور وشهوة وقد تشمل السكر والزنا والانحلال والتبذير والابتعاد عن الرقابة والنصح. وهذه الخطايا الكبيرة من شأنها ان توخر الضمير بشدة وتجعل مرتكبها يشعر بالذنب والتبكي فيتوب. وأما خطايا الابن الأكبر فهي خطايا الناس المحترمين لا تبدو زاعقة بالمقارنة بالاولي وبالتالي لا يشعر اصحابها بعقدة الذنب، ويقارن الابن الاكبر خطايه بالابن الاصغر فيحتقره ويتكبر عليه ويعتبر نفسه افضل منه ولا ينقصه شيء فلا يتوب!

٢- ان خطايا الابن الاكبر هي خطايا المتدينين والفريسيين ورواد الكنائس، وهي غير ظاهرة مثل الاخري ولكن لها نفس المفعول الضار السام واجرتها

موت وقد تكون الكبرياء اخطر من الزنا، والعناد او الغضب والكراهية وعدم المحبة اخطر من السكر والعردة. والدليل علي ذلك ان الابن الاصغر صاحب الخطايا الكبيرة المقرزة تاب ورجع بينما ضاع الآخر (وانتحر) برفضه الدخول الي بيت الأب ووليمته الابدية.

## كم خطية ارتكبتها الابن الاكبر؟

سأذكر فيما يلي كل خطية بايجاز والدليل عليها وخطورتها، وليسأل كل منا نفسه هل عندي هذه؟

### ١- خطية الغضب:

"فغضب ولم يُرد ان يدخل" (لوقا: ١٥: ٢٨). ان خطية الغضب للأسف شائعة ومتفشية بين رواد الكنائس وهي ضد ثمار الروح القدس من محبة وفرح وسلام وطول آناه ولطف ووداعة. وتزداد خطورتها عندما يكون الغضب باطلاً او لأتفه الاسباب او يسبب انفجار بركاني يقذف حمم الشتائم والتهديدات وقد يؤدي الي الضرب او القتل.

ولذلك قال الآباء "ولو أقام الغضوب امواتا فما هو بمقبول امام الله! وقد يطيل الانسان غضبه الي ما بعد الغروب فيتحول الي خصام وقطيعة وعداوة. فهل عندك يا أخي القاريء خطية الغضب هذه...

### ٢- خطية العناد:

"فخرج اليه أبوه يطلب اليه" وفي الترجمة القبطية "يتوسل اليه ان يدخل" ولكنه عاند واصرّ ورفض واخجل اباه وكسر قلبه! آية مرعبة قالها صموئيل النبي لشاول ليتنا نحفظها حتي نتحفظ من العناد "ان التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم" (١صم ٢٣، ١٥: ٢٢). وبعبارة أخرى لا ننساها "العناد عبادة اصنام" وكفي!

### ٣- خطية الكبرياء والغرور:

لقد ترقع علي ابيه وعلي اخيه الاصغر وكلم اباه بتعال ولوم وانتقاد وتجريح. ان خطية الكبرياء هي اول الخطايا واشرها وهي التي اسقطت الملائكة وجعلتهم شياطين. ولذلك يقول الكتاب "يقاوم الله المستكبرين" مع انه لا يقاوم الزناه والضعفاء بل يشفق

عليهم ويرحمهم وقد وبخ السيد المسيح الفريسيين المتكبرين بقوله "العشارين والزواني يسبقونكم الي ملكوت السموات".

#### ٤- خطية الوقاحة والتبجح:

كان وقحاً مع ابيه في الثورة عليه ومهاجمته ورفض توسلاته وهذا من قبيل لوم آدم لله "المرأة التي جعلتها معي"، أو وقاحة قايين في رده علي الله "أحارس أنا لأخي؟" أن الله نفسه يشكو قائلاً "أقوالكم اشتدت علي" (ملاخي ١:٦).

#### ٥- خطية الافتخار:

"قال لأبيه ها انا اخدمك سنين هذا عددها وقط لم أتجاوز وصيتك"... ليس الافتخار من صفات القديسين فأعظم الأنبياء والقديسين لم يجسروا ان يرفعوا عيونهم الي فوق بل اعترفوا بخطاياهم وتقصيرهم. ومكتوب "من يفخر فليفتخر بالرب" وليس ان يفخر علي الرب!

#### ٦- اتهامه لأبيه زوراً بالبخل والمحابة:

قال لأبيه "ها أنا أخدمك كل هذه السنين وجدياً لم تعطني قط لافرح مع اصدقائي، ولكن لما جاء ابنك هذا... ذبحت له العجل المُسمن"! كان هذا منتهي الجحود والكذب ونكران الجميل ودليل علي فساد ذوقه وعدم تقديره لكل النعم التي غمره بها أبوه.

#### ٧- خطية الأدانة:

لقد أدان الأبن الاكبر أخاه بل وأباه أيضاً، رغم انه غارق لأذنيه في خطايا لا حصر لها وهو لا يشعر بها. يقول مثل صيني: "قال الغربال للابرة فيك ثقب"! أنه ينتقد الابرة لوجود ثقب واحد فيها رغم أن به ألف ثقب. ان خطية الادانة من أردأ الخطايا السهلة والمنتشرة بين المتدينين رغم وجود تحذير مخيف منها "لا تدينوا لكي لا تدانوا..." (متي ٧:١) ومكتوب "من أنت الذي تدين عبد غيرك" (روا ١٤:٤).

#### ٨- خطية الكذب:

لقد كان كاذباً عندما قال "وقط لم أتجاوز وصيتك" لانه تجاوز وكسر عشرات الوصايا وأولها المحبة لأبيه ولأخيه والأ لكان أول من يفرح برجوعه وتوبته. لقد مات حنانيا وسفيره فوراً عندما كذبا

ومكتوب ان "جميع الكذبه نصيبهم في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت".

### ٩- خطية الأفتراء:

الأفتراء نوع مبالغ فيه من الكذب المقرون بتلفيق تهمة باطلة لشخص والأساءة الي سمعته والتشهير به كقوله عن أخيه "الذي أكل معيشتك مع الزواني"! مع ان الكتاب لم يقل ان الابن الأصغر زني وكل ما ذكره انه "بدر ماله بعيش مسرف". فياليتنا نكون شرفاء حتي في خصومتنا.

### ١٠- إحتقار أخيه:

لقد تكلم عن أخيه بإزدراء وإحتقار عندما قال "ولما رجع ابنك هذا" وكأنه يتبرأ منه، ولذلك صحح له أبوه بلطف أسلوبه القبيح بقوله "كان ينبغي ان نفرح لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد" والكتاب يقول "المحتقر صاحبه هو ناقص الفهم" (ام ١١: ١٢) فكم يكون المحتقر أخيه...

### ١١- خطية الفرح الرخيص:

يقول أصحاب المحبة (اكو ١٣) ان "المحبة لا تفرح بالأثم بل تفرح بالحق". وهنا يوبخ الابن الاكبر أباه زاعماً كذباً انه لم يعطه جدياً ليفرح به! انه يُفَضَّل الفرح بالجدي عن الفرح بوجوده مع أبيه والفرح برجوع أخيه!

### ١٢- خطية التعبير:

انه يعيّر أباه بخدمته وقوله "ها أنا أخدمك سنين هذا عددها" ياله من جهل ان يعيّر أحد خالقة الذي أوجده وانعم عليه بالحياة والصحة ومئات الاحسانات. الله عنده الملائكة تخدمه أفضل منا وهو في غير حاجة لخدمة الملائكة ولا البشر كما نقول في القداس الغريغوري "ولم تكن أنت محتاجاً الي عبوديتي بل انا المحتاج الي ربوبيتك". ان خدمتنا للرب شرف وامتياز لنا ونعمة لا نستحقها ونحن واخوتنا المنتفعون بها وليس الله أصلاً، فهلا أدرك الخدام أننا نأخذ من الخدمة بركة من الرب ولا نعطيه...

### ١٣- خطية الأنانية:

ان لغة هذا الاخ تطفح بالانانية والطمع في الامور الجسدانية والمادية وقوله "ها أنا" أخدمك وأنا أطيعك

وأنا كنت أستحق أكثر من أخي، كل ذلك يدل علي انه يفكر في نفسه اكثر من اللازم مع ان الآداب الالهية تعلمنا ان "إنكر نفسك" او علي الأقل "تحب قريبك كنفسك" و "مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة".

#### ١٤ - خطية خلق النكد:

لقد حوّل هذا الأخ المناسبة السعيدة الي غم ونكد وخلق مشكلة لم تكن في الحسبان وأحزن قلب أبيه وأخيه وكل العائلة بدون مبرر. ان بعض الناس عندهم موهبة النكد هواية فلا يستريحون ما لم يحولوا الفرح والوليمة الي حنازة "وعكثه" فينكدون علي أنفسهم وعلي من حولهم وينزعون الفرح والهدوء والسلام من الوسط الذي يحلون فيه!

#### ١٥ - خطية عدم المحبة:

كان يجب ان أبدأ بهذه باعتبار ان المحبة هي الوصية الأولى والعظمي" وهي الوصية الثانية وهي "رباط الكمال" بل هي الله نفسه لان "الله محبة"، ولكني أرجأتها للآخر لكي نذكر انه بدون المحبة لا ديانه أصلاً "ولسنا شيئاً".

فما قيمة خدمة الانسان الذي يتشدد بها وما قيمة السنين التي يتحدث عنها وهو يكرم الله بشفتيه فقط وقلبه مبتعد بعيداً بل وقد فشل في محبة اقرب الناس إليه!

ان ردود فعل الأخ "الضال الاكبر" وكلماته التي ذكرها لنا الرب يسوع في ثلاثة سطور كشفت عن وجود اكثر من عشرين خطية قاتلة مختبأه في قلبه، اكتفيت بذكر أهم ١٥ منها، وهذه انتهت "بهلاكه" أديباً وروحياً وأديباً.

والان أياً كان نوع ضلالتنا "فكلنا كغنم ضللنا" (اش ٥٣: ٦) سواء أكان من نوع ضلال الابن الاصغر او من نوع ضلال الابن الاكبر... ليتنا ننتهز الفرصة لنتوب مع الابن الاصغر ولا نترك بيت الأب ولا حضن الأب الي الابد كما فعل الابن الاكبر.